دراسة خليجيّة

الطّباعة في البحرين

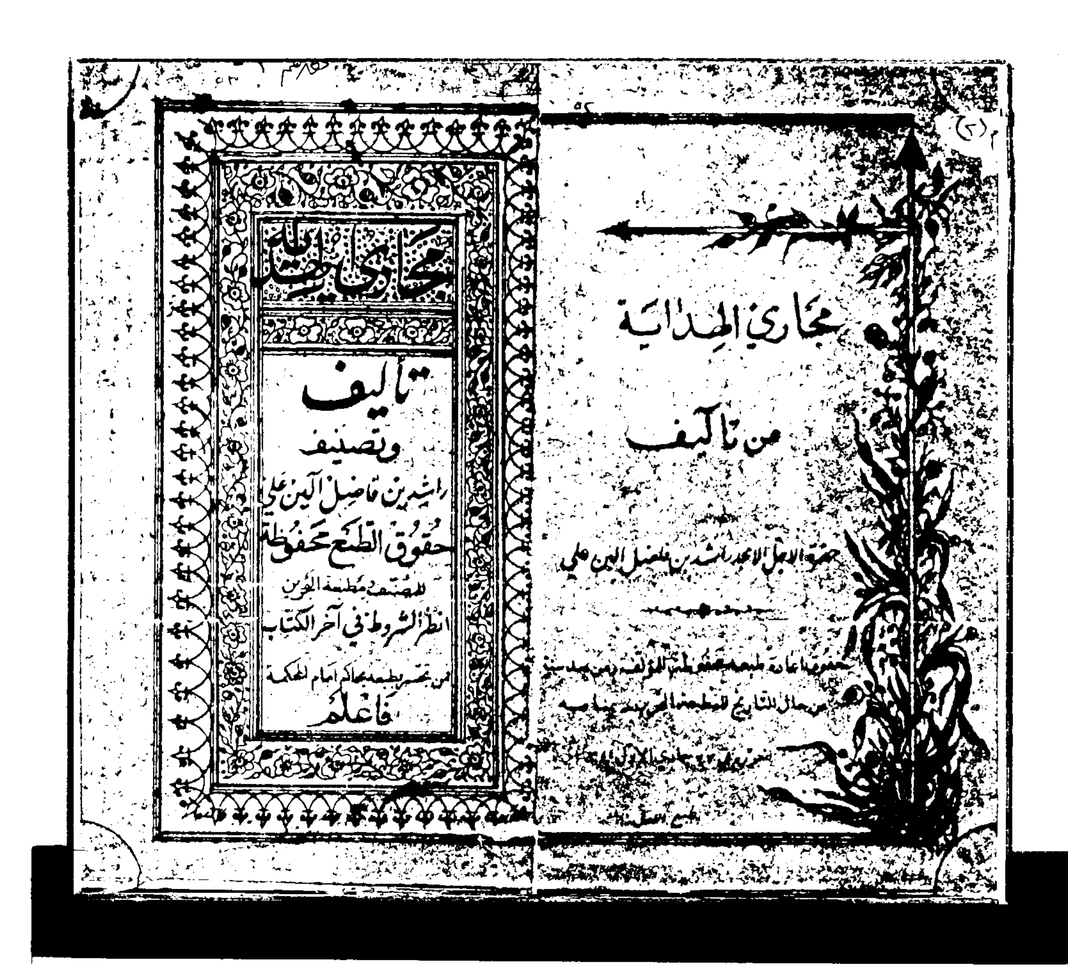
١٩١٣ - ١٩٤٨

بقلم : مبارك الخاطر

هذه الدراسة تؤرخ البدايات الاولى للطباعة في البحرين ، ومساحتها الزمنية تقع ابتداء من عام ١٩١٣ - لغاية عام ١٩٤٨ ، وسبب هذا التحديد الزمني كون هذه البدايات قد اعتورها غموض تاريخي :

أولا : لقدم هذه البدايات بالنسبة لوجود الطباعة في البحرين وتكاثرها ما بعد أواخر اربعينات القرن العشرين مثل مطبعة المؤيد ومكتبتها .. ثم مطبعة النجاح ، والمطبعة الشرقية في الخمسينات .

ثانيا : لفقدان الوثائق اللهم الا اليسير منها كالتي أمكن الحصول عليها للاستعانة بها لتوثيق



هذه الدراسة ، والامل كبير في ان تكشف الايام المقبلة عن مزيد منها ليستفيد بهـا الباحثون في هذا المجال .

كـذلك فان الدراسـة تبحث بعض انشطة المـطبعتين المهمة ، سواء في داخل البحرين أو ما حولها في منطقـة الخليج .

القسم الاول

قبل الحديث عن طبـاعة البحـرين منذ مطلع القرن العشرين الميلادي ، لا بد هنا من الاشارة الى أكثر من دراسة وضعناها حول الايام الاولى لوصول الصحافة العربية الى البحرين . حيث ذكرنا ان الايام الاولى من ثمانينات القرن التاسع عشر قد شهدت بـدايات وصـول صحف الربع الاخـير من القرن التاسـع عشر العربيـة الى البحرين كصحـيفـة الاهـرام ، والعـروة الوثـقى والمقتطف .

وقبل ان يشرف القرن التاسع عشر على

الافول كان هناك ثلاثة مواقع معتمدة لاستيراد هذه الصحف ، والصحف المصرية الاخرى التي صدرت بعدها بعقدين من السنين كالمنار والهلال والمؤيد ، هذه المواقع الثلاثة هي حسب التسلسل الزمني ..

أولا : منتدى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة بالمحرق ابتداء من سبعينات القرن التاسع عشر .

ثانيا : مكتبة المبشرين ابتداء من عام ١٨٩٤ .

ثالثا : مكتبة مقبل عبدالرحمن الذكير ابتداء من عام ١٨٩٥ .

وكما هو معلوم فان بعض مثقفي البحرين والخليج في الربع الاخير من القرن التاسع عشر كانوا قد كتبوا لتلك الصحف بصورة محدودة جدا قبل ان يهل القرن العشرون ، مثل رسالة حسين المنديل عام ١٨٩٢ ، ورسالة حسين على المشرف عام ١٨٩٩ ، **وكلتاهما الى المقتطف حيث كانتا تطرحان** مواضيع وأسئلة في الدين والحياة .

وبعيد مستهل القرن العشرين بعامين كانت هناك كميات لا بأس بها من الرسائل المتبادلة بين مثقفي البحرين ، والصحف المصرية الهلال ، والمنار ، بالاضافة الى المقتطف ، قبل رسالة حسين المشرف الى المقتطف أيضا عام ١٩٠٢ ، ورسالة مقبل عبدالرحمن الذكير الى المنار عام ١٩٠٣ ، وكلها تحمل طابع التساؤل وطلب المعرفة .

وما ان نزع القرن العشرون عقده الاول حتى رأينا تغيرا جوهريا في صيغ تلك الرسائل . فبعد ان كانت تحمل طابعا تساؤليا كما أسلفنا ، أصبحت تبعث برسائل تحمل رصدا لما يحدث في بلادها ، مع اعطاء رؤية للحادث الذى رصدته كرسالة ناصر الخيرى (عبادة نهرجار) التى نشرت في منار عام ١٩١٢ وكرسالة عبدالله محمد الشارخ التى نشرت في المقتطف عام ١٩١٤ والتي يصف فيها حفلة زار أقيمت في المنامة أو كرسالة للشيخ محمد صالح يوسف الى الهلال عام ١٩١٩ التي وصف فيها بتوسع حفل ارساء حجر الاساس لمدرسة الهداية بالمحرق .

غير ان قمة تطور هذه الاعمال تبرز في اعمال ثلاثة كتبت قبل ان ينزع القرن العشرون عقده الثاني . أول هذه الاعمال هي محاضرة بعنوان (المحاضرة الاولى في الدين) كان قد القاها الشيخ محمد صالح يوسف بنادي اقبال أوال عام ١٩١٣ حيث تحدث فيها عن الدين الاسلامي وحاجة الناس الملحة اليه ، وأما ثاني هذه الاعمال فهو كتاب في تاريخ البحرين القديم ، كان قد كتبه الاديب ناصر الخيرى ، أواخر العقد الثاني من القرن العشرين ، الا ان مسودته لا تزال مفقودة ، والراجح انها في الكويت .

أما ثالث تلك الاعمال فهو مقالة (الحياة الجديدة في البحرين) التي كتبها أيضا الشيخ محمد صالح يوسف عام ١٩١٩ وبعث بها الى مجلة الهلال للنشر .

التجربة الأولى للطباعة في البحرين

تلك عجالة لا بد منها للدخول الى موضوع طباعة البحرين قبل ثلثي قرن كما أسلفنا ، فانه اذا كان من الضروري ان تأتي مؤسسات الطباعة قبل مؤسسات الصحافة في أي بلاد يتطلع مثقفوها الى البدء في تأسيس صحافة بها ، فالسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو كيف كان مثقفو البحرين وتجارها ينجزون مطبوعاتهم من ثقافية وتجارية في العقدين الاول والثاني من القرن العشرين ؟

ان الجواب على ذلك ليس بالامر الصعب ، فقط كان من المعروف ان بلاد الخليج والجزيرة العربية كانت تبعث بمطبوعاتها الرسمية وغير الرسمية الى

مطابع الهند الحجرية منها وغير الحجرية بالدرجة الاولى ، والى مطابع البصرة ، والقاهرة بالدرجة الثانية .

وباستثناء البحرين فقد استمر الحال كذلك حتى حلول الاربعينات في كل من الخليج والجزيرة العربية[1] . اذ لم تبدأ تجربة هذه البلاد مع الطباعة الحديثة الا في هذه الآونة ،وقبلها بقليل ، أما البحرين فقد بدأت تجربتها في هذا المجال أوائل العقد الثاني من القرن العشرين أو بالتحديد ابتداء من عام ١٩١٣ حين استقدم الرجلان الحاج أحمد بن عبدالواحد فرامرزي ، والحاج ميرزا علي جواهري مطبعة حجرية الى المنامة . كان الاول رجلا ثريا وكان الثاني صانع أختام .

لقد تعاون الاثنان فجاءا بالمطبعة ووضعاها بدكاكين كانت تقع بشارع ولي العهد بالمنامة كانت المطبعة تنجز طبع القرطاسيات التجارية والكراسات الدينية والعلمية .

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى مباشرة قام صاحبا المطبعة بادخال تحسينات عليها ، فأضافا اليها تطويرا جديدا حيث جلبا من مدينة «ليبزج» بألمانيا آلة طباعة صغيرة مع حروفها ، لكنهما لعدم امكانياتهما المادية لاستجلاب كميات كافية من حروف الطباعة تلك لعمليات الطبع المختلفة ، اقتصرا على استعمالها لطبع القرطاسيات الرسمية والتجارية .

لقد بقيت مطبعة البحرين الاولى بقسمها الآلي الصغير في مقرها الاول حتى أوائل العشرينات ثم انتقل بها صاحباها الى مبنى يقع غربي جامع الشيخ قاسم بن مهزع ، هذا المبنى كان يدعى بيت الكازروني ، في هذا المبنى استمرت المطبعة في تأدية رسالتها فسدت فراغا كبيرا في مجال الطباعة بالدرجة الاولى والنشر بالدرجة الثانية ابتداء من تأسيسها حتى الثلاثينات من هذا القرن .

وعلى ذكر الطباعة والنشر في البحرين أوائل القرن العشرين نقول ان مطبعة البحرين الاولى لم تكن لتؤدي مهمة الطباعة فحسب بل كانت ايضا اداة لنشر الثقافة ، والمعرفة لا في البحرين وحدها بل في الخليج أيضا .

لقد أجمع على هذا القول وأكده كل من اتصلنا بهم من شهود هذا الحدث ، ممن سجلنا اقوالهم عنه أواخر خمسينات هذا القرن من بقايا الرعيل المثقف أوائل القرن العشرين ، أمثال الشيخ الشاعر محمد بن عيسى الخليفة ، والاستاذ الشيخ محمد صالح يوسف والشاعر قاسم محمد الشيراوي ، أما تفاصيل هذا الحدث فقد أخذناها من الاستاذ سلمان أحمد كمال وأحمد حسن ابراهيم فكان في هذه التفاصيل اضافات مهمة تتعلق بكيفية البدء والانتهاء في حياة مطبعة البحرين الاولى .

مجاري الهداية ، وختم القرآن

نأتي الآن الى الحديث عن مطبعة البحرين الاولى كأداة لنشر الثقافة أوائل القرن العشرين في البحرين والخليج وهذا ما حاول صاحبا المطبعة الاستمرار فيه .

فبعيد الحرب العالمية الاولى ، وبعد ان تم لصاحبي المطبعة استيراد مطبعة آلية صغيرة من المانيا كما أسلفنا بدأ بطبع ونشر كراسات دينية ، كان منها كراسة بعنوان (دعاء ختم القرآن) من تأليف المواطن الشيخ عبدالرزاق البغدادي القحطاني هذه الكراسة لا تزال معروفة ومشهورة لدى المشايخ المعمرين في البحرين والخليج .

وبحلول أواخر عام ١٩٢٢ بدأت مطبعة البحرين بطبع كتاب (مجاري الهداية) لمؤلفه خبير البحر الربان الخليجي راشد بن فاضل بن سيف البنعلي وفي العاشر من يناير

١٩٢٣ تم طبع الكتاب ومن ثم نشر في مكتبات البحرين وخارجها ، وقد كان من يمن الطالع ان نعثر على نسخة من الكتاب من بين محفوظات الكتبي الاستاذ عبدالله بن أحمد الجودر صاحب المكتبة العصرية بالمحرق الذى كان قد عرض تلك النسخة في المعرض الاسلامي الاول الذى اقامته وزارة العدل والشئون الاسلامية في البحرين عام ١٩٨٠ .

شىء عن الكتاب والمؤلف

والكتاب بحد ذاته من الكتب العلمية الدقيقة في علوم البحار ومن حق مطبعة البحرين الاولى كمؤسسة للطباعة والنشر ان تدل وتتباهى بطبع ونشر هذا المؤلف ، ومن حق موطن هذا الحدث بثلاثيته مؤلف وكتاب ومطبعة أن يفخر ببروز هذا الثلاثي العلمي الجديد على أرضه ابان بواكير نهضته العلمية أوائل عشرينات هذا القرن .

أما مجاري الهداية ككتاب فله فاتحة وخاتمة ، ولكنه من الطريف ان الفاتحة والخاتمة تتداخلان في تعريفهما للكتاب ففي الفاتحة يقول المؤلف بعد الاستفتاح ما يلي :

(أما بعد أيها المريدين لدفترنا مجاري الهداية سأنبئكم عن مصطلحه والغاية انه لا بد لكل سالك في لجج البحر من بداية ونهاية ، فأول ما ينبغي لسالك البحر التوكل على الله والاعتماد عليه ، وان يصحب معه من آلة من ديره[٢] قرار[٣] وبلد[٤] وبلاد ، وسناد متقن ، وان يضبط الماياة[٥] ويأخذ لنفسه بقدر نزول سفينته لأن لا يضل عن مقصود الذى يريده ، من هير[٦] وغيره ، وان يعلم قدر المسافة ، ويكثر من البلدات[٧] في قرب الهير ويضبط الخيزان[٨] الذى بين الهيرات[٩] والبنادر ، ويعلم كل نجم الديرة ، ومقابلة والذى يليه مطالع ومغايب .. وقد جعلنا له نظما ضابطا وها هو فافهم ، أرشدنى الله وأياك) .

وبعد ان يختتم المؤلف هذه المقدمة ببضعة عشر بيتا في كيفية الابحار في لجج البحار ، ومعرفة الوصول الى الديار يشرع في تدبيج كتابه بادئا بباب (مجاري البلدان المشهورة على ساحل الخليج من وجه البصرة) .

أما فاتحة الكتاب فيبدأ بها المؤلف كالتالي :

فيقول العبد الفقير الى الله اللطيف العلي راشد بن فاضل بن سيف آل بن على انه سألني بعض الاخوان المحبين الى ان أنشر مجاري الهداية ، فتوقفت ثلاثة أعوام لعلمي بقصور نفسي ولما كثر على طالبوه من أهل البحرين وأهل الكويت ، وقطر وصاحب مطبعة البحرين خصوصا وترددت على كتبهم فتعين على طبعه فاعزمت بعد الاستخارة ، وبذلت جهدي في تصحيحه واخذ مجاري ما حواه بنفسي فعلا خلا شيئا يسيرا اخذته عن أهل الدراية بعد المقابلة والامتحان مع غيرهم فجاء بحمد الله وافيا بالمقصود مع صغير حجمه كبير لمثله ، مكمل بالمسافة وقياس البحر ، وقدر الماياة والهيرات والبنادر ولا أزكي نفسي عن الخطأ والنسيان بل هما من صفات الانسان فأرجو من اخواني عدم المبادرة بالانتقاد بلا برهان) .. الى آخر الدعاء هذه هي خاتمة مجاري الهداية التي يختلط فيها الافتتاح بالاختتام .

ونحن هنا لسنا في مجال تقديم دراسة عن هذا المؤلف العلمي القيم ، فقد نقوم بذلك في مناسبة أخرى ، انما يهمنا بالدرجة الاولى كون المؤلف أول مؤلف علمي بحريني طبع ونشر في البحرين بمؤسسة بحرينية للطباعة والنشر قبل حوالي ستين عاما .

لقد جاء هذا المؤلف برغبة ملحة من ربابنة البحر في الخليج .. ومن مطبعة

البحرين الاولى ، وأمام الحاح هذه الجهات خرج هذا المؤلف القيم الى الوجود .

ورغم دقة المؤلف في تحديد المد والجزر وتعيين الهيرات والبنادر الا انه اتسم بتواضع العلماء العاملين فانهى خاتمته قائلا :

(ولا أزكي نفسي عن الخطأ والنسيان ، بل هما من صفات الانسان فأرجو من اخواني عدم المبادرة بالانتقاد بلا برهان) .

كذلك في الخاتمة اشارة واضحة الى مطبعة البحرين الاولى ، حيث خص أحد صاحبيها بالذكر لكونه قد بعث اليه بكتاب مبديا استعداد مطبعة البحرين بطبع مؤلفه (مجاري الهداية) .

ومن الملفت للنظر ان مطبعة البحرين الاولى كانت تأخذ بنظام الاتفاق الذى عادة ما يبرم بين المؤلف ، وبين أي مؤسسة للنشر في أيامنا الحاضرة ، ويبدو ان الاتفاق بينها وبين مؤلف (مجاري الهداية) قد تم كالتالي :

أولا : ان حقوق الطبع محفوظة للمصنف ومطبعة البحرين .

ثانيا : ان حقوق اعادة طبع المصنف تكون محفوظة للمؤلف خلال العام الاول من تاريخ صدوره فقط ، أما بعد ذلك فتكون حقوق اعادة الطبع لمطبعة البحرين . هذان هما البندان اللذان يبدوان واضحين مما كتب على وجه الغلاف الاول والثاني لكتاب مجاري الهداية ، فقد جاء نص البند الاول من عقد الاتفاق بين المؤلف والمطبعة على الغلاف الاول كالتالى :

مجاري الهداية
تأليف وتصنيف
راشد بن فاضل آل بن على
حقوق الطبع محفوظة
للمصنف ومطبعة البحرين

انظر الشروط في آخر الكتاب
فمن تجسر بطبعه يحاكم أمام المحاكم
فاعلم

وجاء نص البند الثاني على الغلاف الثاني كالتالي :

مجاري الهداية
من تأليف
حضرة الاجل الامجد راشد بن فاضل آل بن على
حقوق اعادة طبعه محفوظة للمؤلف وبعد سنة من حال التاريخ للمطبعة البحرين ـ بمنامة
حرر في ٢٣ جمادي الاول ١٣٤١
طبع الاول

حول أنشطة المطبعة الاولى

ذلك شيء عن كتاب مجاري الهداية ، وختم القرآن ، وعلاقة مطبعة البحرين بهما كمطبوعين مما يكون قد أخرجته المطبعة من مطبوعات ، والسؤال الآخر الذى يطرح نفسه هنا هل هذان الكتابان هما كل ما طبعته ونشرته مطبعة البحرين الاولى ، قد يكون الامر كذلك ، وقد لا يكون .. ربما قامت هذه المطبعة بطبع ونشر كتب وكراسات اخرى لم يسعدنا الحظ بعد بالعثور عليها ، لكنه من المرجح ان مطبوعاتها في هذا الصدد يسيرة بخلاف مطبوعاتها القرطاسية التجارية التى غمرت بها سوق البحرين والخليج آنذاك .

لذلك يبدو ان الرأي القائل بندرة المطبوعات الثقافية الصادرة من المطبعة هو الارجح لعدة أسباب :

منها كما هو معلوم محدودية المناخ الثقافي في البحرين آنذاك ، فأدوات الثقافة الحديثة من صحف وكتب وان كانت قد بدأت تصل الى البحرين بصورة مستمرة

قبل نصف قرن من تأسيس المطبعة الاولى في البحـرين ، الا ان مردود ذلك عـلى العطاء الثقافي لرواد الثقافة الحديثة في البلاد كان ضعيفا ، وبالتالي لم يكن هناك كتاب يدفعون بمؤلفاتهم الى مطبعة البحرين الاولى ، التى وان كانت قد قامت بطبع ونشر بعض الكتب العلمية كمجاري الهداية ، والدينيـة كختم القـرآن في محاولة من صـاحبيها لجعلهـا مؤسسة للطباعة والنشر في البحرين ، الا ان ذلك قد لا يعتبر دليلا على ان هناك نشاطا كبيرا للمطبعة الاولى في هذا المجال .

كـذلك فـان من بـين الاسبـاب لنـدرة مطبوعاتها قصر عمرها في هذا المجال ، ثم افلاس صاحبيها ، وتخلصهما منهـا وبيع بقية حروفها الى الاستاذ سلمان أحمد كمال صاحب المكتبة ، الذى سندعه يحدثنا عن ذلك في شهادة معاصرة عن الايام الاخيرة لمطبعة البحـرين الاولى ، حيث يقـول مـا نصه : (ان مطبعة البحرين الحجرية كانت مـوجودة في المنـامة أثنـاء الحرب العـالمية الاولى ، وبعدها مبـاشرة جـاءوا لها بـآلة طبـاعة صغيـرة مع حـروفها . من مـدينة «ليبزج» بألمانيا .. وان صاحبي المطبعة في النهاية أفلسا في الاستمرار في عمل الطباعة ولحقتهما ديون ، مما دعاهما للتخلص منها ومن حروفها ، وقد كنت عازما آنذاك عـلى تأسيس مطبعة آلية بالبحرين وفعلا اشتريت حروف مطبعة البحرين الاولى من صاحبيها لهـذا الغرض ، لكني بعـد ان استخرجت تصـريحـا رسميـا من حكـومـة البحـرين لتأسيس مطبعة جديـدة أوائل الثـلاثينات علمت بأن الاستاذ عبدالله الزائد استطاع ان يحصل على تصـريح ممـاثل بتـأسيس مـطبعة ، فـرأيت ان البـلاد لا تستـوعب مشروعين متمـاثلين آنذاك لغـرض تجاري واحد .. فالغيت مشـروعي ، وبعت حروف مطبعة البحرين الاولى على الاستاذ عبدالله الزائد ، فاستعمل تلك الحروف ، في الايام الاولى للمطبعة التى اسماها أيضا مطبعـة البحرين) .

هذه شهادة صاحب المكتبة الكمالية عن مـطبعـة البحـرين الاولى ، ومنهـا تتضـح الكيفية التى انتهت بها حياة المطبعة الاولى ذات الشقـين الحجـري والآلي ، وان ذلك الانتهاء كان في مفتتح الثلاثينـات من هذا القرن .

قائمة بأسماء ومهن العاملين بمطبعة البحرين الثانية من ١٩٣٢ ـ ١٩٤٨

١ ـ الاستاذ عبدالله على الزائد	صاحب المطبعة ومديرها
٢ ـ الاستاذ راشد صباح الجلاهمة	أمين سر المطبعة
٣ ـ الاستاذ ابراهيم محمد الزائد	رئيس عمال المطبعة
٤ ـ ابراهيم افندي نوح (فلسطيني)	خبير فني بالمطبعة
٥ ـ السيد عبدالله نور	مسئول الحسابات بالمطبعة
٦ ـ السيد عبدالرحمن حسن الحسن	فني خطوط وصف حروف عربية
٧ ـ السيد عبدالرحمن ابراهيم عاشير	صفاف حروف انجليزية
٨ ـ السيد محمد سلطان الجودر	طبـــاع
٩ ـ السيد أحمد على فليفل	طبـــاع
١٠ ـ مصطفى محمد صالح بوعلاى	طبـــاع

١١ـ السيد جاسم عبد العزيز المناعى	طباع وصفاف عربى
١٢ـ السيد عبد اللطيف جوهر جوعان	صفاف عربى
١٣ـ محمد بن نجم المناعى	مشرف المجلدين
١٤ـ السيد على كمال	صفاف عربى
١٥ـ السيد على نجم المناعى	مجلد
١٦ـ السيد عبد الرحمن على الجودر	مجلد
١٧ـ السيد أحمد على فليفل	مجلد
١٨ـ السيد أحمد عبدالله شمس	صفاف عربي
١٩ـ السيد عبدالله جاسم المناعي	طبـــاع
٢٠ـ السيد عبدالله يوسف أحمد الشيخ حسن	صفاف عربى
٢١ـ السيد أحمد يوسف أحمد الشيخ حسن	طبـــاع
٢٢ـ السيد يعقوب بن يوسف العامر	مجلد
٢٣ـ السيد خليفة يوسف هجرس	مجلد
٢٤ـ السيد على بن صباح البنعلى	صفاف عربى
٢٥ـ السيد عبدالله بن صباح البنعلى	صفاف وطباع
٢٦ـ السيد أحمد بن سعيد البنعلى	مجلد
٢٧ـ السيد يوسف أحمد سعيد البوعينين	صفاف عربى
٢٨ـ السيد عبدالله بن شاهين المناعى	صفاف عربى
٢٩ـ على راشد العسمى	طبـــاع
٣٠ـ أحمد راشد سبت	صفاف ومراسل
٣١ـ حسن بن محمد الجودر	صفاف وطباع
٣٢ـ عبدالله عبدالعزيز النجدي	مراســل
٣٣ ـ يوسف بن خليفة الفايز	مجلد
٣٤ـ عبدالرحمن بن حمد الجودر	صفاف
٣٥ـ يوسف الجودر	مراســل
٣٦ـ ابراهيم بوخليل الجودر	طبـــاع
٣٧ـ علوان على	طبـــاع
٣٨ـ عبدالرحمن بن خليفة	مجلد
٣٩ـ ابراهيم الحبشى	طبـــاع
٤٠ـ عبدالرحمن الكلداري	مجلد
٤١ـ نوروز نور الدين (باكستاني)	مجلد
٤٢ـ عبدالله عبدالرحمن قطبة	مجلد
٤٣ـ جاسم راشد الهاشل	طبـــاع
٤٤ـ حمد الشايجي	طبـــاع

القسم الثانى :

التجربة الثانية مطبعة البحرين الثانية

الحديث عن التجربة الطباعية الثانية فى البحرين ، حديث شيق بسبب ان نكهة البدايات الاولى للعمل الطباعى فى الخليج تشمله بطراوتها وطرافتها . فعبدالله الزائد ، كما تحدثنا عنه فى ختام حديثنا عن التجربة الطباعية الاولى لا فى البحرين فحسب ، بل فى الخليج كله ، كان يقتسم التفكير هو والاستاذ سلمان احمد كمال (صاحب المكتبة الكمالية بالمنامة) المؤسسة عام ١٩١٩ فى محاولة استجلاب مطابع حديثة الى البحرين ، تختلف جدة وتقنية عن مطبعة البحرين الاولى .

واذا كان الامر كذلك .. فهل كان ذلك التفكير لتحديث الطباعة فى البحرين وقفا على هذين المفكرين الطليعيين ؟ كلا فان التفكير فى هذا المجال الحضارى من أجل تقدم الخليج كان مسيطرا على أذهان مثقفى البحرين والخليج كغيره من المجالات الحضارية الاخرى .. منذ مفتتح القرن العشرين ، وان فى التجربة الطباعية الاولى فى البحرين عام ١٩١٣ كما أسلفنا تنفيذا عمليا لجزء من ذلك التفكير .

من هذا المنطلق وآخر غيره بالدرجة الثانية ، قام الزائد بتنفيذ تجربة البحرين الثانية فى مجال الطباعة الالية الحديثة ، فأخرج مطبعة البحرين الثانية الى الوجود بعد ان تخلى زميله الاستاذ سلمان كمال عن القيام بها ببيعه مخلفات المطبعة الاولى .

لقد أفادتنا شهادة الاستاذ سلمان كمال التى اثبتناها فى الجزء الاول من هذا البحث - افادة طيبة ، وما ينبئك مثل خبير كالأستاذ سلمان الذى عانى محاولة اخراج مشروع للطباعة الحديثة فى البحرين أواخر العشرينات من هذا القرن . وهذا يسلمنا الى القول الى أن الزائد الذى كان يعانى نفس المحاولة فى ذلك الوقت كان قد استطاع اخراج المحاولة الى الوجود فى مفتتح الثلاثينات من هذا القرن ، وليس عام ١٩٣٤ كما قلنا فى الاصدار الاول من كتابنا (نابغة البحرين) ، لعثورنا على وثيقة فى هذا المجال تخالف ذلك ، وتعيننا فى الحديث عن البدايات الاولى لتجربة البحرين الطباعية الثانية بشىء من التفصيل .

وشهادة أخرى

اذن فتجربة البحرين الطباعية الثانية نفذت تنفيذا حديثا قبل عام ١٩٣٤ بدليل ان هناك رسالة من الاستاذ عبدالرحمن بن حسن الحسن أحد عمال المطبعة مؤرخة فى ٢/١٠/١٣٥٢ هـ اى ١٧/١/١٩٣٤ م وموجهة الى الأستاذ عبدالله الزائد تشير الى أن «مطبعة البحرين الثانية كانت فى خضم عملها عام ١٩٣٤ ، وان موجه الرسالة كان قد تدرب فيها ، حتى أصبح صفافا للحروف ، ثم ترك المطبعة لقلة الراتب الذى كان يتقاضاه .. ومن المعروف أن الأستاذ الحسن ليس من أوائل المنضوين تحت مظلة مطبعة البحرين الثانية حسبما أفادنا المرحومان راشد بن صباح الجلاهمة ، وابراهيم الزائد ، اللذان كانا على رأس العاملين الاوائل بالمطبعة . فلكى يصبح

٩٥/١٠/١٠ بسم الله

حضرة الأخ عبد الله بن علي الزائد المحترم

بعد السلام عليكم . أخبركم أنه أخبرني رسولكم عبد اللطيف
بن جوهر . أنكم تريدون رجوعي إلى المطبعة . بشرط اجتهادي
في العمل وتقدمي فيه . فأقول . إنني احسن تنضيد الحروف حقا
قبل خروجي من المطبعة . لأني رصفت فيها نفسي . ولا سيما العربية
فإني أتقنها صفافيا ووضعا اعرابيا . غير اني اضعف في الانجليزية
فقط . لعدم تطلعي على اصطلاحاتها . وإني إن شاء الله
سأدرس اصطلاحاتها . إذا يحصل منك زيادة في الراتب
[illegible] . وإني كما تعلم أقوم بوظيفة أخرى . ولكي
تحسين الخط بجميع أنواعه . والمطبعة وإن كانت ابتدائية
ولم تنقش فيها الكبيسهات وغيرها ؛ فلا تستغني عن خطاط
لأنه إذا أراد احد من صاحب المطبعة كتابة عنوان ما . كتبه
خطاطها . والحصول لصاحب المطبعة . لأن الخطاط ما له
إلا راتبه المقرر له فقط . بشرط أن يزيد راتبه على راتب
الصفاف بربع الراتب على الأقل . إلا إذا كان الصفاف
ضابطا للغتين العربية والانجليزية صفافا وخطاطا فهي
فيتساويان في الراتب . وإنه صفاف وخطاط . فإن أردتني
فأنا مستعد بالشرط المذكور . فتأمل . ولا يخفى لدى ذوي الخبرة
إن أعلى راتب لعمال المطابع بعد الناظر الصفاف ٧ عبد الرحمن بن حسن

رسالة الاستاذ عبد الرحمن بن حسن

الأستاذ الحسن صفافا مجيدا ، فلا بد ان يقضى فترة للتدرب على ذلك لمدة لا تقل عن نصف عام . وقد أكد هو ممارسته لذلك التدرب فى رسالته التى ننشر نصها للاستنارة بها فى الحديث عن البدايات الاولى لعمل مطبعة البحرين الثانية ، تقول الرسالة :

(٢/١٠/٥٢ بسم الله)

حضرة الاخ عبدالله بن على الزائد المحترم .

بعد السلام عليكم ، أخبركم انه أخبرنى رسولكم عبداللطيف بن جوهر . انكم تريدون رجوعى الى المطبعة . بشرط اجتهادى فى العمل وتقدمى فيه . فأقول أننى أحسن تنضيد الحروف معا قبل خروجى من المطبعة . لانى رضت بها نفسى . ولا سيما العربية فانى اتقنها صفا فنيا ووضعا اعرابيا . غير انى أصف الانجليزية فقط . لعدم تطلعى على اصطلاحاتها ، وانى ان شاء الله سأدرس اصطلاحاتها . اذا يحصل منك زيادة فى الراتب فعلا لا قولا . وانى كما تعلم أقوم بوظيفة أخرى . وهى تحسين الخط بجميع أنواعه ، والمطبعة وإن كانت إبتدائية لم تنقش فيها اكليشهات وغيرها ، فلا تستغنى عن خطاط لانه اذا أراد أحد من صاحب المطبعة كتابة عنوان ما . كتبه خطاطها . والمحصول لصاحب المطبعة . لان الخطاط ما له الا راتبه المقرر له فقط بشرط ان يزيد راتبه على راتب الصفاف بربع الراتب على الاقل . الا اذا كان الصفاف ضابطا للغتين العربية والانجليزية صفا وخطا ومعنى فيتساويان فى الراتب . وأنا صفاف وخطاط . فاذا أردتمونى فانا مستعد بالشرط المذكور . فتأمل . ولا يخفى لدى ذوى الخبرة ان أعلى راتب لعمال المطابع بعد الصفاف الناظر .

عبدالرحمن بن حسن

تلك رسالة عبد الرحمن الى الزائد ، وقد بعث بها اليه كرد لرسالة شفوية كان قد حملها الزائد أحد موظفيه[١٠] الى عبدالرحمن يطلب منه فيها العودة الى العمل بالمطبعة ، بشرط الاجتهاد فى العمل والتقدم فيه ، فكان الرد هذه الرسالة المكتوبة بخط الرقعة الجميل الذى اشتهر به الاستاذ عبد الرحمن كأحد خطاطى الربع الثانى من القرن العشرين فى الخليج ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان هو المدرس الأول للخط فى الهداية الثانوية منذ الاربعينات حتى أواخر الخمسينات .

أما موضوع الرسالة فيشير بالتالى :

أولا ـ ان الاستاذ عبد الرحمن ترك المطبعة لضعف راتبه بها ، مع أنه كان من المبرزين بين موظفيها . وكأن قد ساءه أن يطلب منه الزائد الاجتهاد فى العمل والتقدم فيه ان كان يود أن يعود للعمل بالمطبعة ، فرد عليه بالدفاع عن نفسه كعامل مفن متقن لعمله . فهو يقول عن نفسه أنه خطاط المطبعة الرسمى ، وصفاف للحروف العربية واللاتينية بها . وكما اشترط عليه الزائد بالاجتهاد فى العمل والتقدم فيه ، اشترط هو زيادة راتبه فى مقابل ذلك ، بسبب ميزاته الفنية التى ذكر منها انه يتقن اللغة العربية صفا فنيا ووضعا اعرابيا . لكنه يعترف انه يصف الحروف اللاتينية دون ان يعرف مصطلحاتها ، ووعد بأنه سيدرس تلك المصطلحات ، وعلق ذلك بزيادة راتبه من قبل الزائد .

ثانيا ـ ان الرسالة تتعرض الى شىء من نظام العمل فى مطبعة البحرين الثانية ،

وتعطينا صورة مصغرة عن ضعف امكانياتها فى مبتدأ أمرها . فعن نظامها يقول الاستاذ عبد الرحمن أن بها ناظرا ، وليس بها نظام نقش الكليشيهات ، وان نظام الرواتب بها ليس مرتبا حسب الخبرة والكفاءة . ثم يعطى بعض التصور لوصف وظيفى يجب ان تأخذ به ادارة مطبعة البحرين الثانية ، فيشير الى أن المطبعة - أى مطبعة - مهما تكن فى بداية أمرها تحتاج الى خطاط ، وان راتبه يجب أن يزيد بقدر ربع راتب فوق راتب الصفاف ، الا اذا كان ذلك الصفاف يتقن صف الحروف العربية ، واللاتينية فيتساويان فى الراتب .

هذه بعض مآخذ الاستاذ عبد الرحمن على المطبعة ونظامها ، وهى مآخذ تنطلق من اهتمام الاستاذ بمشكلته هو مع صاحب المطبعة ، مما تعرض له كخطاط مفن وصفاف متقن ، ولقد كان صادقا فى ابراز صورة لحالة مرحلة كان قد عايشها فى المطبعة .

الا ان المطبعة تجاوزت تلك المرحلة بسرعة وتقدمت تقدما مذهلا فلم يحل النصف الثانى من الثلاثينات الا وقد استكملت نواقصها ، وخاصة فى نقش الكليشيهات ، واستعدت لاصدار جريدة البحرين . ذلك ما أمكننا التقاطه من ملاحظات على رسالة الاستاذ عبد الرحمن الحسن الى الاستاذ الزائد ، مما اعطتنا اياه تلك الرسالة من صورة مصغرة عن نظام العمل - بادىء ذى بدء فى مطبعة البحرين الثانية .

أما ما يتعلق بمصير الاستاذ الحسن نفسه بعد ارساله الرسالة الى الزائد . فنترك لرسول الزائد السيد عبد اللطيف بن جوهر الحديث عن ذلك حيث ادلى لنا بالشهادة التالية :

قال : (قبل كل شىء لا بد ان نعرف ان الاستاذ عبد الرحمن الحسن كان من أمهر الفنيين بالمطبعة خاصة فى الخط وصف الحروف . ولكنه كان حاد المزاج وهى صفة يشاركه فيها الاستاذ الزائد . فكانا كثيرا ما يتناقشان ويتلاحيان اثناء العمل .. حتى تصل الحال فى بعض الاحيان - الى ان يترك الحسن العمل فى المطبعة . ويذهب الى البيت ثم يترضاه الزائد فيعود اليها مرة أخرى ..

اما بشأن مبعوثيتى اليه ، فقد عاد بعدها الى العمل بالمطبعة ، وظل يعمل بها حتى تركها اثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث عمل مدرسا فى مدرسة الهداية .

التجربة والتنفيذ

ذلك شىء من حيثيات البدايات الاولى لتجربة البحرين الثانية فى مجال الطباعة . فكيف تنفذت ، وما هو عمرها ، وكيف انتهت لتخلفها التجربة الثالثة ، التى اثبتت وجودها ونجحت فى الاستمرار مستفيدة من التجربتين السابقتين ، ومن ثم استطاعت - منذ أواخر الاربعينات - وضع نفسها فى فلك الطباعة الحديثة المستجدة .

الاجابة على هذا السؤال ذى الثلاث شعب تقتضى الاستنارة بما سجلناه قبل عشرة أعوام فى كتابنا (نابغة البحرين) عن هذه التجربة التى بدأت بتأسيس مطبعة البحرين الثانية ، وانتهت بانتهاء حياتها . فى البدء كانت الاستعدادات الاولى لتنفيذ التجربة قد انتهت بشراء الزائد بقايا مطبعة البحرين الاولى بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣١ ، كما ذكر ذلك الاستاذ سلمان كمال فى شهادته . أما استعدادات الزائد الاهم من ذلك فهى التى نتجت عن ابتياعه مطبعة آلية حديثة بعد ذلك بعام واحد ، ومعنى ذلك ان الزائد ربما بدأ العمل فى مطبعة البحرين الثانية بين عامى ١٩٣١ و ١٩٣٢ ، فالمعروف عنه أنه حتى تلك الفترة كان تاجر

لؤلؤ عريقا ، لكن حالته المادية كانت قد تضعضعت بعد ان تدهورت اسواق اللؤلؤ الطبيعى كغيره من تجار هذا الحجر الكريم فى الخليج ، فكأن ذلك كان سببا فى اخراج الزائد المفكر من قوقعة الجمود المادى الى الحيز الطباعى المستنير ، ومن ثم الى مدار الفكر الصحفى ، الذى كان يلمسه ويحس به كل مستقرىء لرسائله التى كان يبعث بها من الخارج الى أصدقائه الخلص ، ومنهم الشيخ الشاعر ابراهيم بن محمد الخليفة منذ العشرينات من هذا القرن ، مما يجعل ذلك المستقرىء يعثر على وجود خلفية صحفية بارزة لدى الزائد .

واذا كانت الطباعة هى أم الصحافة فلم لا يبدأ بها الزائد ؟ وكان أن بدأ ، حيث أوقف تعامله مع اللؤلؤ ، وحين رأى أن اللآلىء الباقية لديه قد بخس ثمنها ، شأنها شأن جميع اللآلىء الطبيعية .. قرر بيعها والتخلص منها ومقابل مردود مادى مجز فى نفس الوقت ، ليتمكن بذلك المردود من شراء المطبعة ، فماذا فعل لتحقيق ذلك ؟ قام بتحويل بقية لآلئه الى عقود بعث بها الى ملوك وامراء منطقة الخليج ، فحملها رفيق كفاحه المرحوم راشد بن صباح الجلاهمة الى خارج البلاد وفرقها هدايا على ملوك وأمراء المنطقة كالملك غازى ، والملك عبد العزيز بن سعود ، والأمير أحمد الجابر الصباح ، والأمير عبدالله بن جلوى ، وجاء الى الزائد بمردود غير مجز لشراء مطبعة حديثة ، فلم يثن الزائد قلة المردود.. فقام بتجزىء مشروعه الى جزئين، بحيث نفذ الجزء الاول باستجلاب مطبعة من المانيا ذات آلتين متوسطتين لطبع الاوراق التجارية، وما يتبعها من بعض آلات القص والتخريم والتوضيب.

ولبعد نظر عبدالله الزائد حيال مشروعه هذا فقد اعطى الأولوية فيه للادارة، فبدأ قبل كل شيء.. وقبل ان تصل آلات المطبعة الى البحرين بابتعاث رفيقه الشاب راشد بن صباح الجلاهمة الى بغداد للتدرب على الاعمال الادارية للمطبعة وأوصاه باستقدام خبير عربي في فن الطباعة الى البحرين، للعمل في المطبعة.. فغادر راشد البلاد الى بغداد، وبعد سبعة اشهر عاد الى البحرين وبرفقته الاستاذ ابراهيم نوح الخبير الفلسطينى الاصل ، وعن طريق راشد والخبير ابراهيم استطاعت مطبعة البحرين الثانية ان تحتضن مجموعة من شباب البحرين، وتدربهم على العمل الطباعي. فلم يمر عام واحد على بدء عمل المطبعة حتى أصبح كل عمالها وموظفيها من شباب البلاد. منهم من اصبح بعد ذلك مدرسا كالاستاذ عبدالرحمن حسن الحسن. او شاعرا كعبداللطيف جوهر، أو صحفيا كعبدالرحمن عاشير. وآخرون كثيرون تكونت من اسمائهم قائمة طويلة خلال عملهم بالمطبعة منذ أوائل الثلاثينات حتى أواخر الاربعينات ومنهم من استفادت من خبرته مطابع البحرين ابان الخمسينات والستينات، وهى ظاهرة طليعية كريمة تفردت بها مطبعة البحرين الثانية، الامر الذي لم تستطعه أية مؤسسة صناعية وطنية ليس قبل نصف قرن فحسب، بل حتى زماننا هذا، وما ذلك الا بسبب أن صاحبها كان يتميز حبا وغيرة على الوطن وأهله.

يبقى السؤال عن تحديد يوم الاحتفال بافتتاح مطبعة البحرين الثانية، فقد قصرت وسائلنا منذ عقد من السنين حتى الان عن تحديد ذلك اليوم.. اذ لم يكن عند اى واحد من اولئك الذين كانت لهم صلة قريبة أو بعيدة بالزائد او بمطبعته أي معلومة عن ذلك سوى انهم اجمعوا على أن افتتاح المطبعة كان عام ١٣٥١ هـ (اى عام ١٩٣٢) وان موقعه كان بشارع الخليفة بالمنامة قرب

مكتب شركة البرق واللاسلكى الان.
وان موقع المطبعة هو موقع بنك الرافدين القديم بالشارع نفسه.
وهنا لابد من الاستشهاد بأقوال بعض من حضروا حفل افتتاح المطبعة أو شاركوا فيه بأية فعالية.. مثل السيد خليفة ابراهيم مطر والسيد عبداللطيف جوهر جوعان، والاستاذ ابراهيم العريض.
فالأول افادنا بقوله (انه كان يوم جرى الاحتفال صبيا صغيرا. وانه كان هو ووالده في مقدمة من حضروا الاحتفال بافتتاح مطبعة الزائد في خريف عام ١٣٥١ هـ وان والده كان صديقا حميما لعبدالله الزائد، وبما انه كان معروفا بتلاوة القرآن تلاوة جيدة، فقد وقع عليه الخيار ليتلو قرآن الافتتاح وانه قام بتلك المهمة، لكنه اخطأ في التلاوة خطأ جسيما مما جعل الشيخ سلمان بن حمد الخليفة ولي عهد البحرين آنذاك وكان الاحتفال تحت رعايته ـ ان يتأفف من ذلك كثيرا.. وقد شمل هذا التأفف كثيرا من الحضور، وهم جمع غفير من علية القوم، وانه قد حدث هرج ومرج من يتهم بسبب ذلك، وانه لا يزال يذكر ان من بين الحضور الشاعر محمد بن عيسى الخليفة والشاعر ابراهيم العريض، والشاعر عبدالرحمن المعاودة، وان حفل الافتتاح كان مكان مكاتب شركة البرق واللاسلكي بشارع الخليفة في المنامة.
أما السيد عبداللطيف جوهر فيقول : (انه كان يعرف عبدالله الزائد قبل أن يؤسس مطبعته. وانه حضر حفل افتتاحها بعد صيف عام ١٣٥١ هـ مباشرة. وانه يتذكر جيدا كثيرا من الحضور وعلى رأسهم الشيخ سلمان بن حمد الخليفة والشيخ محمد بن عيسى الخليفة. وان خليفة بن ابراهيم بن مطر هو الذي تلا فاتحة الاحتفال.. ومن بعده القى الاستاذ عبدالله الزائد كلمة الاحتفال ثم قام الاستاذ ابراهيم العريض والقى كلمة بالانجليزية،
أما الاستاذ العريض فأجاب ـ حين سألناه عن هذا الحدث ـ بقوله انى حضرت افتتاح مطبعة البحرين. ولكنى لا اتذكر الان انى القيت كلمة، وربما فعلت ذلك ونسيته الان. وانا اميل الى من أكدوا ذلك، اذ انه من عاداتى ان احضر كثيرا من الاحتفالات الثقافية في البحرين منذ الثلاثينات، وفي بعض الحالات ارتجل كلمة بالانجليزية ـ اذا طلب منى ذلك ـ بقصد توعية حاضرى ذلك الاحتفال او المناسبة من الناطقين باللغة الانجليزية، واظننى قد فعلت ذلك في حفل افتتاح مطبعة البحرين.
وهنا لابد من وقفة قصيرة مع ذلك الخبير النجيب الذي استقدمه الاستاذ الزائد لتدريب أبناء وطنه على العمل الطباعي فلم يكن اختياره لا اعتباطا ولا ارتجالا.. لقد وقع الخيار عليه عن علم ودراية، وفهم وادراك.
فالشاب نوح ابراهيم لم يكن شابا عاديا من بين الشباب الفلسطيني المقيم في بغداد يوم التقى به مبعوث الزائد ـ الاستاذ راشد الجلاهمة ـ واختاره من بين مجموعة من العاملين في مطابع بغداد.. انه الشاعر المجاهد الذي وظف شعره الشعبي في خدمة وطنه فلسطين والبلاد العربية.. وجعل من شعره الفصيح والدارج أناشيد وأغنيات جهادية لتحريض مجاهدي الثورة الفلسطينية، التى فجرها في عام ١٩٣٥ العالم المجاهد عز الدين القسام. لقد ظل منذ ذلك العام وحتى استشهاده عام ١٩٣٨ بطلا مجاهدا.
وفي البحرين، ورغم قصر مدة اقامته فيها ـ لعام وبعض العام ـ فقد خلف في قلوب من عرفهم وعرفوه ذكرى اخلاصه وتفانيه ليس في خدمة مطبعة البحرين الثانية وعمالها

فحسب، بل في افئدة كثير من شباب البحرين، الذين التقوا به آنذاك. والذين لا يزال بعضهم يكن له المودة والاعجاب. لا يزال بعضهم يلهج بشعره الغنائي في تحيته للبحرين حالما وطئت قدماه ارضها. حيث قال في مطلع تلك التحية :

بحرين احنا جيينــاك
نحب انفرفش بهـواك
تـكـرمـين الضـيـف
في الشتا والصيف

ولقد حاولنا التماس شيء من اعماله الأدبية والفنية في البحرين، تلك التي لابد وانه قام بها كتابة وتلحينا وأداء - كما كان يعرف عنه واشتهر به وكما كانت تذكره وتشيد به بعض الصحف الملهمة في بعض المدن العربية آنذاك. اذ لا يمكن لشاعر شعبي كنوح ابراهيم ان يعيش في البحرين تلك المدة التى ذكرناها آنفا. ولا تثيره بجمال شطآنها. وبواسق نخيلها ووفرة مياهها العذبة، ولا تثيره ايضا بحركتها الثقافية والأدبية والفنية. وبأساطين تلك الحركة كمحمد بن عيسى الخليفة والزائد وابراهيم العريض والمعاودة، ومحمد بن فارس، وضاحى بن وليد، لقد التمسنا شيئا من تلك الاعمال الأدبية والفنية التى من المفروض انه قام بها فما وجدنا ولو قليلا منها اللهم الا ذكريات عبقة يرويها زملاؤه من عمال المطبعة.. والتى منها انه كان يتمتع بسلوك اخلاقي رفيع، وكان يصر على ارتداء الزى العربي الاصيل ويفاخر به.

هذه عجالة قد لا يعذرنا القارىء أن اغفلناها أو أهملناها، ولتوثيقها وخاصة من الجانب التعريفى بشخصية نوح ابراهيم كشاعر مفن مجاهد نترك لصحيفة الشباب القاهرية الحديث عنه [١١] فتحت عنوان (استشهاد الشاعر الشاب المجاهد الاستاذ نوح افندى ابراهيم) نشرت الخبر التالي :

(القدس في ١٩٣٨/١٠/٢٨ [١٢] قتل الشاعر العربي نوح ابراهيم أحد زعماء الثورة في اثناء عملية الهجوم التى قامت بها القوات البريطانية في ضواحى مدينة حيفا يوم الثلاثاء الماضي وقد اكتشفت جثته أمس على مقربة من (طمرة) ووجد رجال البوليس بجانبها عددا من البنادق والمسدسات ولغما وعلما عربيا وطائفة من الصور ووثائق من الخطورة بمكان عن نشاط الثوار).

ثم اردفت الصحيفة هذا الخبر بكلمة تأبين للشاعر قالت فيها :

(هذا هو الخبر الاليم الذي فوجئنا به في الاسبوع الماضي، فكان له في النفوس أشد وقع، لأن استشهاد هذا الشاب النابغ خسارة على الحركة الوطنية العربية. وعلى الجهاد القومى الشعبي، وكانت شركات الفونغراف تتسابق الى تسجيل اناشيده الوطنية التى كان يلحنها بنفسه، وكانت تطبع منها مئات الالوف. فكان الناس في المجتمعات والبيوت يستمعون لها فتفعل في نفوسهم وتتغلغل في اعماق قلوبهم).

هذا جزء يسير مما أبنته به صحيفة الشباب القاهرية حيث افردت له صفحة كاملة. لقد كانت هذه الصحيفة بالذات تتابع وترصد كل حركات المقاومة الفلسطينية للانجليز واليهود في فلسطين بسبب أنها كانت صحيفة فلسطينية تصدر في القاهرة، وصاحبها هو المجاهد الفلسطيني الاستاذ محمد علي الطاهر لذلك فهى تهتم بنشر انباء ابطال تلك المقاومة آنذاك، ومنهم الشاعر نوح ابراهيم.

هذا عن نوح شاعرا ومفنا ومجاهدا. فماذا عنه خبيرا ومعلما مجدا اثناء عمله في مطبعة البحرين الثانية. لقد حضر نوح حفلة افتتاح المطبعة. وقام بوضع نظام العمل بها. وتابعه وظل يدرب شباب البحرين على تنظيم الحروف وصفها وتقسيماتها وعمل الطباعة

واستعمال آلتها. فهذا طباع وهذا معاون له. وهذا قسم التجليد. وذاك قسم لتصديف الورق. وهذا قسم للتسطير. يقول عنه الاستاذ راشد بن صباح الجلاهمة رحمه الله: (لقد تعلمنا الكثير من نوح وكان كأنه ممثل فلسطين الثائرة على الانجليز واليهود وكان يقول: اذا لم تجاهدوا في فلسطين بالنفس فجاهدوا بالمال. وكان كثيرا ما يردد الكلمات التالية:

(ان الكلام ما عاد ينفع مع هؤلاء الجلادين) يعنى الانجليز في فلسطين.

مشاهداتي في المطبعة

كان مما تميزت به مطبعة البحرين الثانية في مجال العمل ايضا هو اعانتها للطلبة الفقراء بمحاولة توظيف أكبر عدد منهم أثناء العطل الصيفية.. لقد كنت من بين أربعة من هؤلاء صيف عام ١٩٤٥ ممن جاءوا مع ذويهم العاملين بالمطبعة.. وبهذه الطريقة جاء بي ابن خالي الذي كان يعمل صفافا بها، كانت سني فوق الحادية عشرة بقليل، وخلال عملي الصيفي بالمطبعة لم أشاهد صاحبها. فقد رحل عن الدنيا قبل مجيئي بأكثر من شهر، لقد عانيت العمل الطباعي مع اولئك الشباب العامل بالمطبعة التى كانت تشغل مكان بنك الرافدين الان.

كان المكان يزخر بآلات الطباعة المختلفة الاشكال، لكنها كانت مصفوفة بنظام، ولم تكن المساحة بين كل منها متسعة، سوى لمرور رجل او رجلين. كان المكان منارا بالكهرباء، وكان اللون الاسود هو اللون الغالب عليه، وخاصة أرضيته الشديدة اللزوجة بسبب انتشار رذاذ الحبر الأسود المختلط بزيوت تشحيم الآلات.

كانت أحذية العاملين بالمطبعة سوداء لزجة، وكذلك ستراتهم. وكانوا يمشون الهوينى خشية الانزلاق فوق أرضية المكان، لكنهم في المساء لا يحتاجون الى ذلك لتثاقل أرجلهم في الخطو من شدة التعب. ومن جانبنا كصبية لا يعهد الينا المسئولون بأعمال متعبة، كانوا يكلفوننا بالأعمال الخفيفة كنقل الاوراق المطبوعة، وتصديفها، وتوزيعها على أقسام المطبعة.

وبالنسبة لمثلي ذي الأحد عشر عاما. فان قامتى كانت لا تسمح لي باشباع رغبتى في التطلع الى أسطح تلك الآلات، فكنت أضع صندوقا فأقف عليه لأتمكن من رؤيتها. كان لا يسمح لأحد - من الطلبة العاملين بالمطبعة - بمثل هذا العمل الا اذا كانت تلك الآلات متوقفة عن العمل بسبب ان ذلك كان قد أدى الى حوادث مؤسفة لكنها غير مميتة.

أن شريط الذكريات لشهرين كاملين قضيتهما صيفا بالمطبعة لا يزال يمر أمامي واضحا. فقد طبعته في ذهني ذاكرة الطفولة الأمينة. والحديث عن ذلك يطول، ولولا أني أتحرى الفصول المهمة فيه لأضعت وقت القارىء باستعراض دقائقه، لكنه من المهم أن أذكر ان جل عمال المطبعة كانوا من مدينة المحرق، وكان وقت العمل بها يوما كاملا من السابعة صباحا حتى الخامسة مساء، تتخلله فترة غداء وراحة، لا اتذكر بالضبط مساحة وقتها، لكنها لا تزيد على الساعة، يخرج فيها العمال من المطبعة منهكين قد لصقت قمصانهم بأجسادهم من شدة العرق.

كان الوقت صيفا كما قلنا والمراوح الكهربائية المعلقة بالسقف تدور لكنها لا تغنى عن شيء من شدة الحر. كان عمال المطبعة وقتها لا يزيدون على العشرين، أما رواتبهم فهي من خمسين الى مائة وخمسين روبية هندية، اما أنا فقد اعطيت عن الشهرين اللذين قضيتهما بالمطبعة مبلغا قدره اثنتان وثلاثون روبية.

لقد كان مما استرعى انتباهى خلال بقائى في المطبعة هو تلك الآلة الكبيرة الصامتة التى لا أجد من يعمل عليها.. ولما سألت ابن خالى عن توقفها، قال انها توقفت بتوقف جريدة البحرين عن الصدور، ومع أنى كنت قد ألفت باعة الجريدة بالمحرق ينادون عليها، هى وملحقها الحربي عن أحداث أواخر مراحل الحرب العالمية الثانية، وعمرى لم يتجاوز التاسعة، الا أنى لم اكتشف سر توقف جريدة البحرين الا أوائل الستينات حينما كنت أتحرى المعلومات الدقيقة عن مبتدى ومنتهى جريدة البحرين..

هذا ما كان من نشأة مطبعة البحرين الثانية، وما كان من حياتها العملية التى امتدت زهاء ثمانية عشر عاما. أما كيف انتهت حياتها فتتلخص في أن صاحبها قد بدأ لديه عد تنازلي في الافلاس منذ اشتداد الحرب العالمية الثانية، فكانت أزمات المطبعة تترى الواحدة بعد الاخرى، وعلى رأسها أزمة الورق الذي يجب توفيره لاستهلاكات المطبعة وأهمها جريدة البحرين، وملحقاتها عن الحرب.. ومع ذلك فقد ظل الزائد مرابطا في ثغره، ولم يتركه الا محمولا على الاعناق الى مثواه الأخير.

بعده آلت المطبعة الى ادارة أموال القاصرين، فضمنها منها الحاج قاسم المعاودة والد الاستاذ الشاعر عبدالرحمن المعاودة (١٣) لفترة تقدر بخمسة أعوام، ثم تركها بعد أن أصبحت شبه مستهلكة، حيث بيعت مخلفاتها الى الاستاذ مؤيد أحمد المؤيد صاحب تجربة البحرين الثالثة في مجال الطباعة الحديثة والتى قام بتأسيسها باسم (مطبعة المؤيد ومكتبتها) حيث انتهى زمن تجارب البحرين في مجال الطباعة، وبدأ فيها عصر طباعة منتصف القرن العشرين.

المصادر

١ ـ شهادات معاصرة
٢ ـ مجارى الهداية/ كتاب من تأليف راشد بن فاضل البنعلى
٣ ـ دعاء ختم القرآن/ كراس/ من تأليف الشيخ عبد الرزاق القحطانى
٤ ـ وثيقة مؤرخة فى ٢/١٠/١٣٥٢هـ
٥ ـ نشأة الصحافة بالمملكة العربية السعودية
٦ ـ نشأة الصحافة العربية لفليب طرزى
٧ ـ مجلة الشباب المصرية اعداد جون وأكتوبر ١٩٣٨ لصاحبها محمد على الطاهر .

الهوامش

(١)باستثناء الحجاز فقد انشأت الخلافة العثمانية أول مطبعة رسمية فى عام ١٣٠٠ هـ ـ ١٨٨٣ م باسم مطبعة الولاية .

(٢) ديرة = بوصله .
(٣) قرار = مضبوطة وحسنة الاداء
(٤) بلد = كتلة من الحديد تزن ٢ كيلو ، وتشد بحبل طويل حيث يستعملان فى قياس اعماق البحار اثناء جريان السفينة ، وذلك بان يقوم البلاد بين الفينة والاخرى بقذف البلد الى البحر ليتعرف على عمق البحر : والبلاد هو الذى يقوم بهذه العملية .
(٥) الماياث = موجات المد والجزر اثناء جريان السفينة .
(٦) هير = مواضع فى البحار تكون مخصصة لصيد اللؤلؤ .
(٧) البلدات = عمليات قياس اعماق البحر .
(٨) الخيزان = المنخفضات التى تقع بين الهيرات .
(٩) البنادر = الموانىء والمرافىء .
١٠)هو الشاعر عبداللطيف بن جوهر بن جوعان الذي كان موظفا بالمطبعة نفسها.
١١) جريدة الشباب القاهرية/العدد ١٢١ ـ ٨١ ـ ٤١٦ ـ نوفمبر ١٩٣٨.
١٢) قتل نوح يوم الثلاثاء ٢٥ اكتوبر ١٩٣٨ م
١٣) لقد كانت ادارة المطبعة في تلك الفترة منوطة بالاستاذ عبدالرحمن المعاودة.